MENA RESEARCH CENTER

مركز أبحاث ودراسات مينا

التربية الجنسية داخل الأسرة

دراسة ميدانية د. نورة هارون

مراجعة: أحمد الرمح

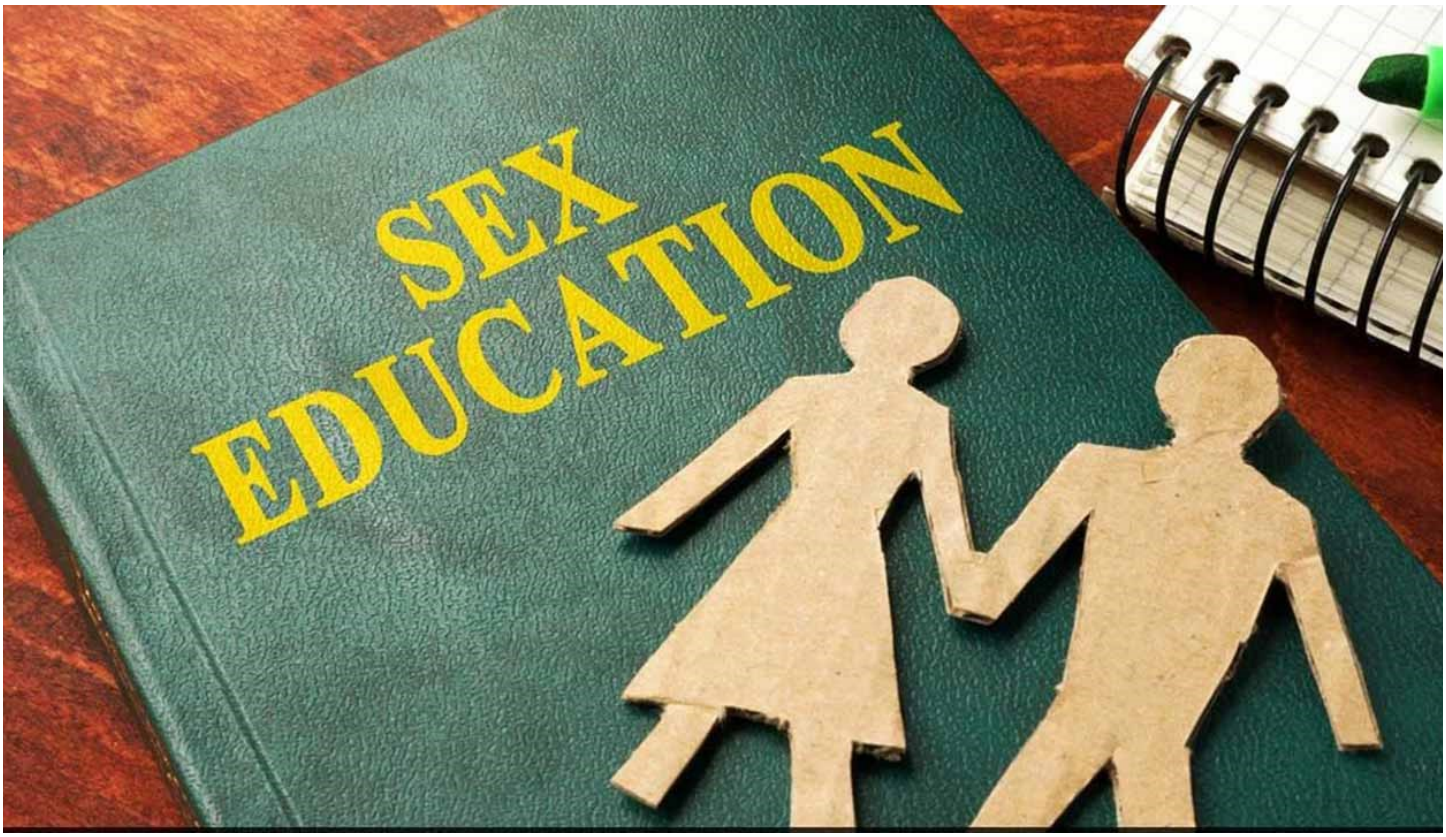

حقوق النشر والطبع ورقياً والكترونياً محفوظة لصالح مركز أبحاث ودراسات مينا

الملخص

كلمة الجنس في المفهوم الشائع للمجتمع الجزائري كلمة تدل على الخطيئة، هذا ما جعله تابو من التابوهات والممنوعات التي يجب ألا يعبَّر عنه بحرية، ووضوح ما أدى إلى سد باب المعرفة الصحيحة أمام الأبناء وفهمهم الطبيعي للأمور الجنسية، واكتشافها على نحو سليم. فالمعرفة الصحيحة تساعد على إعداد الفرد للحياة.

وهكذا تصبح حاجة الفرد إلى المفاهيم الجنسية أساسية كحاجته للتعلم والرعاية، وتوجيه نموه الجسمي والعقلي والخلقي والاجتماعي، ومهما كان الحرص على إبعاد الأمور الجنسية عن الأفراد في أي عمر، فإنهم يلجؤون إلى مصادر أخرى للتعرف على المعارف التي حجبت عنهم، ولا مناص من أن تكون الدراية بالجنس بهذه الطريقة مدعاة للانحراف والانحلال الخلقي.

وعلى هذا الأساس طرحنا موضوع التربية الجنسية داخل الأسرة الجزائرية محاولين الاطلاع على بعض جوانب هذه التربية، وعلى المبادئ والأسس التي تعتمدها الأسر من خلال عملية تلقينها للأبناء.

مقدمة

التربية عملية يكتسبها الفرد من خلال القيم والمعايير الاجتماعية والثقافية الموجهة لسلوكه داخل المجتمع الذي ينتمي إليه، كما يتعلم خلالها الأدوار الاجتماعية والأنماط السلوكية التي يحددها المجتمع بحسب جنس الفرد بهدف المحافظة على بقاء هذا المجتمع واستمرار المميزات الثقافية له بامتداد عاداته وتقاليده ومعتقداته. وتعدّ التربية أكثر العمليات الاجتماعية تعقيداً، فهي تشمل جوانب الحياة كافة لأنها تساهم بشكل كبير في تكوين فرد متوازن، ومتكامل الشخصية من نواحيها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والصحية والجنسية؛ لهذا خصّ كل جانب من هذه الجوانب بتربية خاصة، ومن الواضح أن كل هذه الجوانب متداولة في المجتمع باستثناء التربية الجنسية، ويعود السبب داخل هذا المجتمع لاعتبار أن هذا الموضوع تابو من التابوهات التي لا يحق للأفراد التطرق إليها، فكيف يمكن أن يتجسد في إطار التربية وتلقينها إلى الأطفال؟

ومن هذا المنطلق طرحنا موضوع التربية الجنسية للدراسة محاولين التعرف على واقع هذه التربية في ظل خصوصيات هذا المجتمع وعاداته وتقاليده. مركزين على الأسرة لأنها البيئة الأولى التي يعيش فيها الفرد ويتفاعل معها ويستمد منها قيمه ومعاييره واتجاهاته الأولية لذا تعدّ الركيزة الأساسية في عملية التربية، وخاصة الجنسية.

الإشكالية

يلعب الجنس دوراً هاماً في السلوك الإنساني، لأنه حاجة ووظيفة بيولوجية، ونفسية واجتماعية هي من حق الفرد. والجنس طاقة كبيرة من جملة الطاقات الموجهة للسلوك ويرى نتشيه أنّ "الطاقة الجنسية في الإنسان تمتد بطبيعتها إلى أعلى قمة في نفسه وروحه وكيانه"، وكذلك من خلال العملية الجنسية يمكن الحفاظ على النوع البشري واستمرار النسل، لذا وجدت محددات وضوابط لممارسته حسب طبيعة كل مجتمع وخصوصيته لاعتباره من أكثر وأصعب المشاكل التي تواجه الفرد فقد تؤثر على البناء العام لشخصيته من الناحية العقلية، والانفعالية، والاجتماعية ما قد يعكس بعض الانحرافات كفقدان الهوية الجنسية أو بعض الاضطرابات النفسية.

والتربية الجنسية تعمل على إكساب الفرد جملة من المعارف والمفاهيم والقيم والاتجاهات السليمة التي ترتبط بالسلوك الجنسي من أجل تكوين فرد سوي جنسياً وهي جانب من جوانب التربية الشاملة للفرد، فهي توافق بين طبيعة الفرد، ومتطلباته الفطرية، وبين القيم والضوابط الاجتماعية والثقافية المحددة لسلوك الفرد داخل المجتمع.

وتعد الأسرة مؤسسة من مؤسسات التربية وهي تعكس صورة المجتمع الذي توجد فيه. ومن خلالها ينقل الموروث الثقافي للمجتمع إلى أبنائها للاندماج والانتماء إليه، وتقوم التربية الجنسية على نظرة المجتمع لها وللجنس بشكل عام. ولكنها تختلف من أسرة إلى أخرى حسب الاتجاه الفكري لأفرادها، وهذا ما يؤثر على المرجعيات المتبعة وأنماط تلقينها، وعليه طرحْنا الإشكال التالي:

- **ما هو نمط التربية الجنسية الموجود داخل الأسرة؟**
- **من أين تستمد الأسرة المعلومات والمعارف المتعلقة بالتربية الجنسية؟**
- **هل هناك ضوابط محددة لتوجيه السلوك الجنسي؟**

الفرضيات

التربية الجنسية داخل الأسرة ذات توجه تقليدي، يتداخل فيه الدين بالقيم، والمعايير الاجتماعية الخاصة بالمجتمع.

تحديد المفاهيم:

التربية الجنسية:

- هي عملية تربوية تساعد الفرد على اكتساب جملة من التصورات والحقائق والمعارف والمفاهيم والقيم والاتجاهات والعادات الصحيحة التي ترتبط بالسلوك الجنسي كحقيقة بيولوجية واجتماعية بهدف تحصين الفرد بالقيم الإيجابية اللازمة لتوجيه الدافع الجنسي في إطاره الشرعي، ومساعدته على اتخاذ القرارات المستقبلية المسؤولة عن تكوين الأسرة ضمن القيم الدينية والمعايير الاجتماعية التي يؤمن بها المجتمع من أجل تحقيق صحة الفرد وطهارة المجتمع(١).
- كما يرى جورجي أن التربية الجنسية مرتبطة بالأسرة ارتباطاً وثيقاً، وهي عملية من شأنها أن تحقق التوجيه القيمي للسلوك الجنسي لدى الأطفال كما تكون لديهم الاتجاهات التربوية نحو استخدام الجنس في إطاره الصحيح(٢).

تعريف الجنسانية:

الجنسانية هي جانب مركزي في الكائن البشري يضم الخصائص البيولوجية المميزة بين الذكر والأنثى والخصائص الاجتماعية المميزة بين الرجل والمرأة أي الهوية النوعية والتوجه الجنسي، ويتم تجريب الجنسانية أو التعبير عنها من خلال رغبات، معتقدات، مواقف، قيم، أنشطة، ممارسات، أدوار وعلاقات. كما أن الجنسانية نتيجة تداخل بين البيولوجي والنفسي والسوسيو/اقتصادي والتاريخي

---

١. عبد الصمد الديالمي، سوسيولوجيا الجنسانية العربية، دار الطليعة للطباعة، لبنان، ط١، ٢٠٠٩، ص ١٩٤.

٢. أوسقلد شقارتي، ترجمة: شعبان بركات، علن النفس الجنسي، المكتبة العصرية، بيروت، بدون سنة، ص ٧٨.

والثقافي والأخلاقي والقانوني والديني.(٣)

مستويات الجنسانية:

١ ـ المستوى السيكوفيزيولوجي: الإثارة، الحب، الكراهية، الانجذاب، الذروة الجنسية..

٢ ـ المستوى الرمزي الثقافي: الختان، الخفاض، الافتضاض..

إن هذه الممارسات الثقافية توظف المعطى البيولوجي من أجل التنشئة الاجتماعية، بمعنى أنها تشكل طقوس مرور من وضع بيولوجي (أنثى ـ ذكر) إلى وضع اجتماعي (المرأة ـ الرجل).

٣ ـ المستوى النمطي: يحيل على تقنيات بلوغ الذروة الجنسية أي هوية الشريك والموضع وطرق الجماع..

٤ ـ المستوى المؤسساتي: نعني به الأطر الاجتماعية للفعل الجنسي كالزواج، الأسرة، المعاشرة الحرة، البغاء.

٥ ـ المستوى الإيديولوجي: المقصود به أنظمة الرقابة والتدبير والتبرير الخاصة في كل مجتمع وتقوم على التمييز بين المقدس والمدنس، وبين الشرعي واللاشرعي، بين السوي والشاذ.

لمحة تاريخية عن التربية الجنسية

عبر المسار التاريخي للإنسانية نجد أن الجنس اتخذ اشكالاً مختلفة في المجتمعات القديمة ومن بينها الفرعونية والصينية والهندية والبابلية، ففي العصر الفرعوني كان الجنس رمزاً للإخصاب، وكان له تماثيل ونقوش فيها الإله الذكر والآلهة الأنثى. أما فيما يخص الشرق الأقصى كالهند واليابان والصين وصل الجنس إلى حالة التصوف والبحث عن الذات، أما العصر الإغريقي فقد خلط بين الجنس والفلسفة، وفيما يخص المجتمع البابلي فقد كان للجنس حرية مطلقة حتى جاء قانون حمورابي الشهير وهو يمثل الوصايا العشر الواردة في التوراة، وينص في أحد بنوده على تنظيم العلاقة الجنسية بهدف الإنجاب واستمرار النسل والبقاء، ثم ظهرت الديانات السماوية، فأعطت الجنس وضعاً متميزاً وحرّمت العلاقات غير الشرعية.(٤)

---

٣. عبد الصمد الديالمي، المرجع سبق ذكره، ص١٤.

٤. ادوارد بريمن، ترجمة: جورج رزق، المشكلات الجنسية، دار الآفاق الجديدة، ص ٥٠.

أما الدين الإسلامي فقد جاء بضوابط ومحددات للسلوك الجنسي من خلال القرآن الكريم فالآيات المتعلقة بها تجاوزت مئة آية تُلمّ بما يتعلق بالحياة الجنسية للأفراد وكذا فصلت بأكثر دقة في السنة النبوية.

وفي العصر الحديث ظهر مفهوم التربية الجنسية من خلال المحاولات الكثيرة في المطالبة بها والدعوة إليها.. وذلك نتيجة تفشي الانحلال الخلقي، وظهور المثلية الجنسية، والشذوذ الجنسي والاعتداءات؛ وتمتد جذور الاهتمام بالتربية الجنسية في الفكر الغربي إلى أوائل القرن العشرين، إذ تُعدّ الولايات المتحدة الأمريكية من أوائل الدول التي دعت إلى التربية الجنسية، ففي عام ١٨٩٢ أشير إليها من خلال محاضرات ألقيت في بعض المؤسسات عن القضايا الجنسية. وفي عام ١٩٠٥ دعا مورو إلى الاهتمام بتطبيق برامج التربية الجنسية في المدارس؛ وظل الاهتمام بها حتى أخذت الصفة الرسمية عام ١٩٦٠ وقررت لجنة المدارس القومية تطبيق برامج التربية الجنسية في المدارس الثانوية، كما انتقل الاهتمام بها إلى الجامعات الأمريكية استجابة للنداء الذي وجهته هيئة الصحة بالمدينة عام ١٩٧٠.

فيما يخص الدول الأوربية كانت التربية الجنسية استجابة تربوية لظهور بعض المشكلات الاجتماعية المتعلقة بالجنس والحياة الأسرية، ويؤكد فريدمان" ظهرت التربية الجنسية كاستجابة للاهتمام بتبصير السلوك الجنسي كرد فعل لازدياد فرص الاختلاط الجنسي الذي يترتب عليه زيادة حالات الحمل غير الشرعي".

أما جذورها في الفكر العربي الإسلامي فكانت من أبرز المؤتمرات الداعية إلى التربية الجنسية في مختلف المؤسسات التربوية المؤتمر العربي الأول للصحة النفسية المنعقد في القاهرة سنة ١٩٧٠، ويليه بعدها العشرات من المؤتمرات التي تتعلق بمشكلات الشباب الجنسية. وفي أوائل السبعينيات اهتمت الدول النامية بتنفيذ برامج التربية الجنسية لتكوين أسرة مبنية على أساس من القيم والاتجاهات السليمة إزاء العلاقات الجنسية.

أما على الصعيد الدولي فقد أولت منظمة الصحة العالمية. W.H.O اهتماماً بالتربية الجنسية، ودعت إلى ضرورة تدريسها في النظام التعليمي بمراحله المختلفة، أما منظمة اليونسكو فظهر اهتمامها بطريقة غير مباشرة ضمن برنامج التربية السكانية، ثم تحول الاهتمام إلى عمل مباشر

وأعدت برامج التربية الجنسية، ونفذت في النظام التعليمي كنمط من أنماط التجديد التربوي الذي يحصن المتعلم من الوقوع في الانحرافات الجنسية.(٥)

المقاربة السوسيولوجية

النظرية السوسيولوجية التي يمكن أن تفسر وتتوافق مع موضوع التربية الجنسية هي نظرية **العنف الرمزي والهيمنة الذكورية**، لاعتبار النشاط التربوي نفوذ يقوم على العنف الرمزي من خلال انتقال الإرث الثقافي من جيل إلى جيل آخر، وينتج عن ذلك إعادة إنتاج الرأسمال الثقافي. أما الهيمنة الذكورية فتعود لطبيعة المجتمع الجزائري.

١ ـ العنف الرمزي: من خلال دراسة بيير بورديو للمجتمع الجزائري وجد أنَّ هناك نفوذاً يقوم على العنف الرمزي وذلك النفوذ يفرض دلالات شرعية تؤصل قوتها، أي إن هناك علاقة رمزية بالنسبة لعلاقات القوة من استقلالية وتبعية في آن واحد(٦). أي إن الطابع الرمزي الذي يوطد علاقات القوة من الفاعلية الواقعية تنبع من اعتراف المغلوب بشرعية الغالب وهيمنته ويستمد شرعيته أيضا من الموروث الثقافي للمجتمع عن طريق عملية التربية؛ ويقول بورديو في هذا الصدد "**إن أي نشاط تربوي هو موضوعياً نوع من العنف الرمزي، وذلك بوصفه فرضاً يأتي من جهة متعسفة لتعسُّف معين**" (٧).

وبهذا الشكل يعدُّ النشاط التربوي عنفاً رمزياً من خلال توفر الشروط الاجتماعية الضرورية للفرض والترسيخ للمربي المهيمن بأسلوبه المفروض أو تحديده لما يفرض، أو للذين عليهم القوة من خلال عملية التفاعل والاتصال.

يظهر هذا الشكل من العنف خلال تربية الآباء للأبناء وخاصة من الناحية الجنسية، ويتجلى هذا الفعل منذ بداية حياة الطفل التي يكون فيها كثير الاسئلة عن الأعضاء التناسلية أو كيفية الولادة

---

٥. الحسيني الحسيني معدي، التربية الجنسية بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، دار الإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص ٩٢.

٦. بيير بورديو ترجمة: نظير جاهل، العنف الرمزي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص ٢٢

٧. بيير بورديو، ترجمة: نظير جاهل، المرجع سبق ذكره، ص ٠٧.

واختلافه عن الجنس الآخر.. الخ. فتكون ردود أفعال الآباء تجاه هذه التساؤلات إما بالصمت، أو باللامبالاة أو بوصفه عيباً لا يحق للطفل الاطلاع عليه، فتجاهل أسئلة الطفل، وعدم السماح له بالمعرفة في الأمور الغامضة بالنسبة له يعتبر عنفاً رمزياً.

وكذلك يتجلى هذا العنف من خلال ردود أفعال الآباء تجاه أبنائهم خلال مرحلة تمييز الطفل بين أعضائه التناسلية وأعضاء الجنس الآخر، وقد أكد التربويون والنفسانيون أنها عملية طبيعية يمر بها كل طفل ما بين ٤ إلى ٦ سنوات لاكتشاف هويته الجنسية. ذكراً كان أم أنثى. باللمس. لكن الطفل يضرب أحياناً ويردع دون سبب مقنع ووجيه أو يفسر ذلك على أنه مكان لا يحق له العبث به.

فمع نمو الطفل الجسمي والعمري يكون هناك نمو معرفي في جميع مجالات الحياة وينتقل الطفل من عالمه الخاص داخل الأسرة ليعتمد على ذاته وأقرانه في اكتشاف العالم الخارجي ويميل إلى الاستقلالية الذاتية والتحرر من الأسرة، فيقابل الوالدان سلوكه بقيود وضغوط كاختيار الأصدقاء أو اللباس كفرض الحجاب على الفتاة، وعدم السماح لهم/لهن بإبداء الرأي أو مناقشة آرائهم، لاعتقاد الأهل أن هذا الفعل هو حماية لهم من الانحرافات وإقامة العلاقات الجنسية مع الجنس الآخر؛ ويعدّ هذا الفعل عنفاً رمزياً وتسلطاً من الوالدين على أبنائهم إذ لا يحق الاطلاع على مواضيع الجنس إلا بعد سن الرشد والتهيئة للزواج.

٢ ـ الهيمنة الذكورية: DOMINATION MASCULINE

هو مصطلح مكوّن من لفظين الأول من الفعل هيمن أي سيطر وتملك شيئاً ما؛ أما الثاني من الاسم البيولوجي للذكر. أطلق هذا المصطلح بيير بورديو على المجتمع الجزائري من خلال دراسة أجراها في منطقة القبائل ولاحظ سيطرة الرجل على المرأة في هذا المجتمع ، وعرّف الهيمنة الذكورية بـ "أنها التميز الرمزي بين ما هو مذكّر وما هو مؤنث، أي بين ما هو ذكوري وما هو أنثوي"(٨)

فالمكانة المركزية والتراتبية التي تضع الرجل في موقع المركز وتضع المرأة في الهامش هي واقع ملموس متجذر من بناء ثقافي رمزي يعطي للرجل حق السيطرة والهيمنة وما على المرأة

---

٨. نعيمي مليكة، واقع ارتداء الحجاب في المجتمع الجزائري، دراسة سوسيولوجية بجامعة معسكر، ٢٠١١. ص ٢٨.

سوى الخضوع للرجل، وتعتبر هذه الهيمنة في المجتمع الجزائري أمراً طبيعياً لا يمكن تجاوزه، لارتباط هذه الثقافة بخلق اللّه؟! فلقد خلق اللّه الذكر ثم أخرج الأنثى منه وهذا ما وضعها في حتمية الخضوع له بحسب اعتقادهم.

ومن جهة أخرى يرى بورديو أن التقسيمات المكونة للنظام الأبوي أي علاقات الهيمنة والاستغلال **"إنما تنطبع في طبقتين مختلتين من العادات على شكل تخلقات جسدية متناقضة، ومكملة بعضها بعضاً وتنطبع في مبادئ الرؤية والتقسيم التي تصنف كل شيء في الكون، انطلاقا من المذكر والمؤنث اللذين يجد فيهما العنف الرمزي الشروط الضرورية للنمو والبقاء".(٩)**

ولهذا فالأسرة الجزائرية تهتم في تربيتها على تأكيد وإعادة إنتاج الثقافة الذكورية في المجتمع من أجل إعلاء قيم الرجولة، باعتبار أن الرجل أكثر إيجابية وعقلانية من الأنثى، إذ يستمد هيمنته داخل المجتمع منذ ولادته وذلك لشعور الأسرة بالفخر والقوة والسند ووجود امتداد لها، أما الأنثى فتحدد الأسرة مكانتها داخل المجتمع" فالأسرة الأكثر اندماجاً في المجتمع هي الأكثر توفيراً للنسب وحتى تكون قادرة على ذلك ينبغي عليها تجسيد القيم الاجتماعية بقوة وعلى رأسها الشرف، ولما كان الشرف لصيقاً بالمرأة فإن علة التضييق عليها تكمن بالحفاظ على اندماج الأسرة في المجتمع".(١٠)

من خلال هذا فإن المجتمع الأبوي يقوم بإعداد الذكر للحياة الواسعة خارج نطاق الجماعة الأولية التي ينتمي إليها- بينما يقوم بإعداد الأنثى للحياة الضيقة داخل الأسرة، فرجولة الذكر تظهر في مدى هيمنته وسيطرته على المرأة. وبهذا المعنى فإن أي نشاط يقوم على العنف الرمزي يتوصل إلى فرض نفسه وذلك من خلال قوة الإقناع التي يمتلكها النفوذ الرمزي.

---

٩. مصابيح فاطمة وصنصال حنان، النوع والجندر وعلاقته بلعب الأدوار الاجتماعية داخل الأسرة، دراسة ميدانية بمدينة معسكر، ٢٠٠٩، ص ٢٤.

١٠. مصابيح فاطمة وصنصال حنان، المرجع سبق ذكره، ص ٢٥.

نظرة المجتمع للجنس

إن الطاقة الجنسية في الإنسان رجلاً كان أم امرأة طاقة كبيرة، فالفرد في حاجة إلى إشباع حاجاته الجنسية، التي تنشأ عن رغبة الجسم والعقل والنفس، فهذه الطاقة قادرة على تحريك كل ملكات الفرد في الحياة الاجتماعية والنفسية والعلمية، يقول نيتشه:"إن الطاقة الجنسية في الإنسان تمتد بطبيعتها إلى أعلى قمة في نفس الإنسان وروحه وكيانه"(١١). ولكن تختلف أشكال تصريف هذه الطاقة الجنسية باختلاف خصائص ومميزات كل مجتمع عن الآخر.

والمجتمع الجزائري يعدُّ الجنس مقدساً ومدنساً في آن واحد، حيث تكمن قدسيته في ممارسته في إطار الزواج فقط، أما الأشكال الأخرى كالبغاء، الزنا، المعاشرة الحرة.. إلخ، فهي مدنسة غير مقبولة داخل المجتمع. ولكن هناك عدة تناقضات داخل هذا المجتمع، وتظهر في عدم التعبير أو التكلم في موضوع الجنس من جهة وتحويله إلى مزاح وسخرية في التبادل الكلامي اليومي والاتجاه إلى بعض السلوكيات المنحرفة مثل التحرش، الاغتصاب، كبت.. إلخ من جهة أخرى.

وهناك مظهر آخر لهذه التناقضات فإذا مارس الرجل هذه الأشكال الجنسية في الإطار غير الشرعي تعد تجارب وخبرة في الحياة الجنسية، وهي رمز للرجولة ولا يلام عليها، أما بالنسبة للمرأة فعلى عكس ذلك فجسدها يمثل شرفها وشرف كل العائلة، لذا تكون عليه عدة قيود وضغوط وفي حالة ضاع شرفها فهي الملامة الوحيدة عن ضياعه حتى وإن كانت ضحية. ويؤكد هذا القانون الجزائري بتزويج البنت المغتصبة بمغتصبها وذلك تجنباً لفضيحتها وإسقاط القضية عن الفاعل.

كما توصل النظام الأبوي العربي إلى التفريق بين المرأة المحترمة أي الزوجة والأم وبين المتعة الجنسية، وإلى ربط المتعة الجنسية بنساء محتقرات ـ قينة، عشيقة، بغية ـ ونلاحظ مثل هذا التصور في الأمثال الشعبية مثل "تتحرك تطلق" ومفاد المثل أن الزوجة إذا تحركت أثناء الجماع يقع طلاقها فتحرُّكها يعني حضور رغبة ومتعة وهو الشيء الذي لا يليق بزوجة محترمة.. فجنسانية الزوجة المحترمة تنحصر في إرضاء شهوة زوجها وفي إنجاب عدد كبير من الأطفال الذكور".(١٢)

---

١١. نوال السعداوي، المرأة والجنس، مطابع المستقبل، الاسكندرية، ١٩٩٠، ص ٦٢.

١٢. عبد الصمد الديالمي، المرجع سبق ذكره، ص ١٧.

نظرة المجتمع للذكر والأنثى

إن الإنسان مهما ورث من صفات فإن الصفات التي يكتسبها من البيئة المحيطة به، وعن طريق التربية هي التي تكوّن صفات شخصية، وشكلها النهائي، فإن الإنسان يعيش داخل المجتمع يتأثر به ويؤثر فيه والحياة هي التفاعل المستمر بين الإنسان ومجتمعه.(١٣)

ومن خلال هذا تختلف نظرة المجتمعات للذكر والأنثى حسب كل مجتمع وخصوصيته، فالمجتمع الجزائري باعتباره مجتمعاً تسوده الهيمنة الذكورية وذلك حسب قول بورديو في دراسته للمجتمع القبائلي "إن المجتمع يشرعن علاقة المرأة بالرجل وهيمنته عليها من خلال التأصيل في الطبيعة البيولوجية التي هي نفسها بناء اجتماعي مطبع"(١٤). وهذه الهيمنة هي من وضعت المرأة في مكانة أدنى من مكانة الرجل التي تظهر منذ ولادتها من خلال التمييز بينها وبين أخيها الذكر؛ وكذلك تظهر من خلال التربية التي تتلقاها بالحذر والخوف والحفاظ على أعضائها التناسلية. ومع زيادة نمو هذه الطفلة تكثر الضغوط عليها، وعلى جسدها فهو رمز لشرف العائلة، وينتج عن هذه الضغوط، والسيطرة الخضوع للهيمنة الذكورية وانتظارها دورها في الحياة وهو الزواج وإنجاب الأطفال.

تقول سيمون دي بوفوار" إن صفات الأنوثة نتاج صناعي لوضع المرأة السفلي في المجتمع"(١٥). فالتربية التي تتلقاها الأنثى في المجتمع سلسلة من الممنوعات والقيود، وبهذا تكبت هذه الأنثى رغباتها وتملؤها برغبات غيرها. ومن خلال ذلك تكون التربية عملية محو أو إلغاء شخصيتها ولا يبقى منها إلا الجسد الجامد فاقد الحياة. فالأطروحة الأبوية تجعل من المرأة كائناً خلق من الرجل ولأجله (١٦).

أما الذكر فيعدّ في المجتمع السيد المسيطر. وهذا راجع لخضوع العقل العربي للمنطق الأبوي أي

---

١٣. نوال السعداوي، المرجع سبق ذكره، ص ٥١.

١٤. نعيمي مليكة، المرجع سبق ذكره، ص ٢٨.

١٥. نوال السعداوي، المرجع سبق ذكره، ص ٥٣ .

١٦. عبد الصمد الديالمي، المرجع سيق ذكره، ص ١٦.

إعادة إنتاج الرأسمال الثقافي، إذ تجمع كل الأنظمة التربوية العربية التقليدية على اعتبار النسق الجنساني نسقاً ثنائياً تراتبياً في الوقت ذاته، وهو النسق الذي يتمحور حول "قطب رفيع فاعل مسيطر يتشكل من الرجل وقطب دنيء مفعول به يتشكل من النساء"(١٧).

المكانة الجنسية للمرأة

الحياة الجنسية قائمة على تفاعل بين فردين ذكر وأنثى ولكل فرد دور واجب القيام به تجاه الآخر إلا أن الأمر في مجتمعنا متوقف دائماً على دور المرأة ولذة الرجل؛ فالمرأة منظور لها على أساس جسدها أي إن البعد الجنسي لها قائم على أساس إغرائها الجسدي ما يؤثر على الجوانب الأخرى في حياتها هذا ما يُحدث نوعاً من القلق حول قدرات الجسد على حيازة إعجاب الرجل لضمان الزواج، هذا ما أكده سمير عبده إنه "مازال في بعض الجهات تقوم أم العريس باصطحاب العروس المتوخاة لابنها إلى الحمام كي ترى جسدها وهذا الأمر مقبول لدى أم العروس حتى لا يفسر الرفض على أنه تهرب من مشاهدة عاهة في جسدها"(١٨).

وهنا يصبح جسدها موضع اختبارات ومقاييس يجب أن تتوفر فيه! وهذا ما يجعل جسد المرأة يختزل حياتها، ذلك أن الفتاة تنشأ على طاعة الأب، فالأخ، ثم الزوج وحتى الولد من بعد، إذ يمثل لها الرجل السلطة والقوة ما يجعلها مجبرة على القبول بهيمنته وتسلطه. وإذا أخذ الأمر من المنطلق الذكوري المسيطر على الحياة الجنسية والحرية التي يتمتع بها الرجل في عكس القيادة، والمراقبة المفروضة على المرأة وتقليص رغبتها "فإن المجتمع الذي يؤمن بالعفة بالجنس كقيمة خلقية، فلا بد أن تسري على جميع افراد المجتمع" (١٩).

وإذا كانت تسري على جنس دون جنس آخر؛ فالعفة هنا ليست قيمة خلقية وإنما هو قانون فرضه النظام الاجتماعي، ففرض على المرأة العفة والطاعة للرجل، وهذا الأخير لديه سلطة، وأوامر على ما يجب أن تقوم به أو تمتنع المرأة عنه، كأنما هنا تشكيل المرأة لما يؤيده الذكر، وهذا الموقف

---

١٧. نفس المرجع السابق.

١٨. سمير عبده، المنزلة الجنسية للمرأة العربية، منشورات دار النصر، سورية، ط١، ١٩٨٥. ص ٢١.

١٩. سمير عبده، المرجع السابق، ص ٢٤.

يقودنا إلى رؤية أخرى متمثلة في القتل بسبب الشرف؛ "فإذا كان الرجل له الحرية الكاملة في ممارسة الجنس بأي شكل فإن المرأة فيها تبدو حيواناً حل ذبحه" (٢٠).

لسنا بصدد رفع العقاب عن المرأة وإنما تطبيق نفس القانون على الرجل فالخيانة الزوجية أكثر شيوعاً لدى الرجال من النساء إلا أن الرجل قد يتحرر من العقاب وإنما خيانته تكون بمثابة رمز لرجولته، أما خيانة المرأة فهي فقدان لشرفها وعائلتها ووصمه عار طول حياتها.

الأسرة والتربية الجنسية

الأسرة هي الوحدة الأساسية في بناء المجتمع، وهي المؤسسة التي (تتم فيها عملية التنشئة) تنشأ فيها اجتماعياً، ومن خلال هذه العملية (يتم إعداد الأبوين) يُعدَّ الأبوان للقيام (بتربية وتوجيه) بتربية السلوك الجنسي للطفل وتوجيهه، إذ يقول فاخر عاقل "تتم التربية الجنسية أولاً قبل الولادة عن طريق تربية الوالدين وإعدادهما للأبوة والأمومة" (٢١). لذا يجب أن يكون الوالدان على دراية بطرق تلقين التربية الجنسية وأساليبها، وذلك من خلال معرفتهم بالأمور المتعلقة بالجنس، شرط أن تكون المعرفة صحيحة حتى تكون عملية توجيه الأولاد في صورة سوية تنظم سلوكهم الجنسي.

هناك نقاط على الوالدين مراعاتها في تربية الأبناء، حيث تستخدم هذه التربية لحمايتهم وإرشادهم وتوجيه سلوكهم ودافعهم الجنسية في الإطار الصحيح، وبالضوابط والقيم السليمة على مختلف مراحل النمو، كما ميز التربويون وعلماء النفس ثلاث نقاط أساسية يتميز بها الأطفال الذين تلقوا تربية جنسية عن غيرهم.(٢٢)

١ـ الأطفال الملمين بالحقائق الجنسية يكونون أقل اهتماماً من غيرهم بالأمور الجنسية، فهي لا تثير لديهم فضولاً سيئاً، والقضاء على الاستفسارات الملتوية.

٢ـ التربية الجنسية المتزنة والمعلومات الصحيحة تمهد الطريق لفهم الوظائف الجنسية فهماً

---

٢٠. سمير عبده، املرجع السابق، ص ٢٥.

٢١. الحسيني معدي، المرجع سبق ذكره، ص ١٨١.

٢٢. انتوني غيدنز، ترجمة: فايز الصباغ، عم الاجتماع، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٥ . ص ١٩٠.

سليماً، أما التكتم والمراوغة في الإجابة تؤدي إلى سوء الفهم.

٣ـ تعمل التربية الجنسية على الحد من الرغبة في محاولة التجريب لأن التجريب هنا ينجم عن اهتمامات قائمة على نقص الفهم.

كما أن فهم الأمور الجنسية يساعد الطفل على تقبل الضوابط والمحددات الاجتماعية المفروضة على السلوك الجنسي، فهي توضح للطفل لِمَ وضعت؟ وبذلك يصبح قادراً على معالجة دوافعه الجنسية.

كما يؤكد الباحثون أن التربية الجنسية تبدأ بعد الولادة مباشرة، وأن الميول الجنسية لدى الطفل واتجاهاتها تتأثر باتجاهات الوالدين وميولهما نحوه، وقد تؤدي رغبة الوالدين في إنجاب أنثى إلى معاملة المولود الذكر على أنه أنثى والعكس، وبهذا يكوّن الطفل فكرة خاطئة من ذاته متأثراً بهذه المعاملة، فيحدث خلل في تشكيل هويته الجنسية، ذكراً كان أم انثى، وفي أغلب الأحيان تؤدي هذه المعاملة إما إلى الشذوذ الجنسي أو المثلية الجنسية. أما حينما يبدأ الطفل في السؤال عن كيفية وجوده، واختلاف أعضائه التناسلية عن أخته.. إلخ، وكلما زاد العمر بهما فإن الأسئلة تصبح أكثر تعقيداً، ولهذا على الآباء والأمهات الرد على الأسئلة بإجابات سهلة، وبسيطة، وصادقة، وتتفق مع سنهم. فالصمت والامتناع عن الإجابة قد يؤدي إلى زيادة اهتمام الطفل بالأمور الجنسية ويعدّها سراً مهماً أو خطيئة أو لذة ومتعة؛ وقد يكون ذلك مصدراً لمخاوف الأطفال وقلقهم أو يؤدي إلى اضطرابات نفسية.

لذا يجب أن يتقبل الوالدان هذه الأسئلة مع الإدراك أن الحقيقة وراء هذه المسألة ليست مسألة جنسية بذاتها، بل هي أسئلة تستهدف اكتشاف العالم المحيط بهم، فإن لم يتلق الطفل الإجابة داخل الأسرة فسيضطر إلى البحث عنها في مصادر أخرى. كما يرى "إن محور التربية الجنسية هو الإجابة الصريحة على أسئلة الطفل، والاتجاه العلمي الخاص، والهادئ عند الاستماع لها والإجابة عنها" وبهذا يوفر الحد الكافي من المعرفة الجنسية للأطفال وفق مراحل تتوافق مع نمو الطفل الجسدي والعقلي.(٢٣)

٢٣.الحسيني معدي، المرجع سبق ذكره، ص١٩٠.

الجانب الميداني

التربية الجنسية: جانب من جوانب التربية الشاملة؛ وفي دراستنا هذه قمنا برصد آراء الذين أجري البحث عليهم حول كيفية سماعهم بموضوع التربية الجنسية، فتضاربت آراؤهم واختلفت مصادر معرفتهم بها، إذ صرحت إحداهن (٤٠ سنة، ٤ متوسط) "**أخاف من هذ الموضوع حد البكاء**" وتُرجع هذا الخوف الى تربية والديها في الصغر وتخويفهما لها منه والتشديد على الحفاظ على شرفها. وصرحت أخرى (٢٤ سنه، مستوى جامعي) "**كنت غافلة عن هذا الموضوع، ولكن بعد حادثة جرت في المنطقة التي أسكن فيها حيث اعتدى أخ على أخته في غياب والديه عن البيت. فتساءلت أين يكمن الخلل وبالصدفة قرأت مقالاً عن التربية الجنسية في إحدى الجرائد**".

كما كان هناك اتجاه آخر من أغلب الذين أجري البحث عليهم نحو هذا الموضوع وعدُّوه موضوعاً غامضاً وغير مفهوم وغير متداول في مجتمعنا إذ صرحت إحداهن (٤٨ سنة، ثالثة ثانوي) إن هذا الموضوع لا يجب التطرق إليه وقالت: "**الجنس عيب كيفاش تكون ليه تربية**".

ومن خلال هذا فالفئة الأولى كانت معرفتها بهذا الموضوع مجرد صدفة ولم يكن عن طريق البحث والمعرفة الأكاديمية. أما الفئة الثانية فتعدّها من الممنوعات وليست ضرورية للأطفال، وذلك لخوفهم من تفتيح أعين أبنائهم على أمور لا يحق لهم التطرق لها إلا في مرحلة الرشد والزواج.

تصور الأولياء للجنس

اختلفت تصورات الذين أجري عليهم البحث حول الجنس فهناك من يراه تفرقة بين الذكر والأنثى وهناك من يراه موضوعاً حساساً وتابو من التابوهات وهناك من يعدُّه ضرورة ملحة داخل المجتمع. أما شخص آخر فقد اعتبر أن "الجنس مجال ممنوع عن الأولاد ما تحت سن ٢٠، لأن الأطفال لا يعرفون مدى خطورة هذا الموضوع لذا لا يحق لهم التطرق إليه إلا بعد هذه السن". وهناك من يراه محرماً. صرحت (معلمة ابتدائي، ٣٠ سنة) "**الجنس علاقة بين رجل وامرأة بعيداً عن الأنظار في الخفاء يتبادلان أطراف الحديث الجذاب والمرح**" وهذا ما يعكس لنا المعتقد السائد في

المجتمع ـ وما قد أشرنا إليه في السابق. وهو غالب على أفكار الأفراد؛ فهذه المرأة باعتبارها معلمة تنقل قيمها وأفكارها لتلاميذها دون مرجعية علمية؛ حيث يقول بورديو: "الثروة الثقافية التي تنقلها النشاطات التربوية العائلية تبقى قيمتها محكومة بالمسافة الفاصلة بين النموذج الثقافي التعسفي المفروض من قبل النشاط التربوي الغالب والنموذج يرسخه النشاط التربوي في مختلف الجماعات والطبقات" ومعنى ذلك أن هناك عملية إعادة إنتاج ثقافة المعلمة التي اكتسبتها من عائلتها وترسيخها في أذهان تلاميذها من خلال النشاط التربوي الذي تقوم به.

أما النظرة الأخرى للجنس فتتمثل في أن الجنس أساس استمرار البشرية وضرورة من ضروريات الحياة إذ صرحت إحداهن (٣٨ سنة، جامعي) "غريزة مخلوقة مع الإنسان وطبيعة ترتكز عليها الحياة الزوجية خاصة مع القليل من المتعة"

إنَّ الدين الإسلامي لم يهمل جانب الحياة هذا؛ فبعضهم يراه أبعد ما يكون عن الدين. بل قد يتوهمون بأن الدين ينظر إلى الجنس وما يتصل به على أنه رجس، والواقع أن الإسلام قد عني بهذا الجانب من حياة الإنسان ووضع له قواعد وأحكاماً وتوجيهات تتضمن أداءه لوظيفته دونما كبت ولا انحراف حسب ما جاء في القرآن الكريم.(٢٤) يقول فتحي سلامة بهذا الصدد "إن العرب الذين كانوا يمتلكون منذ ١٤ قرناً خطاباً حول الجنس، لم يعد لديهم اليوم مفهوم للجنس في اللغة التي يكتبونها ويتكلمون بها بلهجات عدة، ونستنتج من هذا أن ما لا يوجد كمفهوم لا يوجد بالمرة" (٢٥).

التربية الجنسية وكيفية تلقينها للأبناء

تقوم التربية الجنسية بتزويد الفرد بالمعلومات الجنسية التي تتلاءم مع سنه وذلك من أجل ضبط السلوك الجنسي لتصريف الطاقة الجنسية في الإطار الشرعي الذي يحدده المجتمع بهدف حمايته من الانحرافات الجنسية وما ينجم عنها من مخاطر على المستوى المجتمعي ككل. ويرى بعض الباحثين ضرورة أن يلم الفرد ذكراً كان أم أنثى بالمعلومات الأساسية حول الجنس والسلوك

٢٤.الحسيني معدي، التربة الجنسية من المنظور الاسلامي، دار الإيمان، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص ٥٤.

٢٥.عبد الصمد الديالمي، المرجع سبق ذكره، ص ١٢.

الجنسي قبل سن المراهقة، وذلك لأن الحالة الانفعالية لا تكون ملائمة لتقبل المعلومات بسهولة؛ فقد حاولنا في هذا العنصر التعرف على كيفية تربيه الآباء لأبنائهم من الناحية الجنسية وإن كانوا يجهلونها كمفهوم. إذ صرحت لنا إحدى اللواتي أجري عليهن البحث (٤١ سنة، ٤ متوسط) "التربية الجنسية للأبناء هي التطلع إلى هذا العالم من عندي أحسن من غيري". أما واحدة أخرى (٣١ سنة، طبيبة) فصرحت "فقط معرفتهم بما هو البلوغ وأعراضه" ومقارنة بهاتين السيدتين هناك اختلاف في المستوى التعليمي، إلا أن الأولى من خلال تصريحها واعية بأهمية التربية الجنسية لأطفالها وعليه هي التي تقوم بتلقينها لأبنائها أحسن من أن يتجهوا الى مصادر أخرى. أما الثانية فهي طبيبة وبحكم مهنتها وتعليمها العالي الذي يعالج الأمور الجنسية بشكل دقيق إلا أنها حصرت التربية الجنسية في البلوغ وأعراضه فقط.

وما شد انتباهنا في دراستنا هو تصريح مربٍ مختص (٣٥ سنة، جامعي) "**بما أن هناك قاعدة تقول: إن كل ممنوع مرغوب فيه، فلا بد أن نترك الأشياء على طبيعتها. ونحن -المسلمين- لا بد أن نرجع إلى الدين، وهل جاء في الدين شيء عن ذلك؟**". فهذا الشخص يحمل عدة تناقضات ومفارقات في تصريحه؛ فقد أكد أن كل ممنوع مرغوب، أي إنه إذا منع الطفل عن هذا الموضوع، فهو سيرغب فيه، ثم تحدث عن طبيعة الأشياء، وكل المختصين التربويين أو النفسانيين أكدوا أن التربية الجنسية جانب مهم من جوانب التربية الشاملة. وفي الأخير تحدّث بصفة الإسلام وتعاليمه ونفى نفياً قاطعاً وجود هذا الموضوع في الإسلام. فان كانت ردة فعل المربي المختص حول هذا الموضوع بهذا الشكل فكيف تكون ردة فعل العاديين وغير المختصين؟!

ويرى عبد الناصح علوان "أن التربية الجنسية عملية مستمرة تدوم من المهد إلى اللحد، ولا تقتصر على سن معينة، بل تبدأ من الطفولة في الإجابة على أول سؤال يوجهه الطفل حول هذا الموضوع".

كما قسّم مراحل التربية الجنسية الى أربع مراحل:

المرحلة الأولى: يُلقن الطفل فيها آداب الاستئذان وآداب النظر.

المرحلة الثانية: يحاول الطفل فيها تجنب كل الاستثارات الجنسية.

المرحلة الثالثة: يتعلم المرء فيها آداب الاتصال الجنسي إذا كان مهيأ للزواج.

المرحلة الرابعة: مرحلة بعد البلوغ يتعلم الشاب فيها الاستعفاف إذا كان لا يستطيع الزواج.(٢٦)

التربية الجنسية والنوع

من خلال دراستنا وجدنا أن هناك من يفضل أن يقوم كل جنس بتربية جنسه أي الأب يربي ابنه والأم تربي ابنتها، وهناك من يفضل أن تكون التربية مشتركة بين الوالدين، وهناك من يحمّل الأم هذا الجانب من التربية.

وهذا ما لمسناه في تصريحات الذين أجري عليهم البحث ومن بينها. تصريح لأحدهم (تاجر. ٥٠سنة. ابتدائي) "**الأم هي التي تقوم بالتربية، والأب يساعد في بعض الأحيان وهو الجانب المرهوب**" ومن خلال هذا يتضح لنا أن هذا الأب لا يتدخل في تربية أبنائه إلا في الحالات التي تستدعي العنف والترهيب. كما قصت لنا إحداهن (٣٨سنة. جامعية. مطلقة) من حادثة وقعت بين ابنتها ووالدها قالت" عندما سمع أن ابنته لها علاقة مع شاب، قام بضربها حتى أدخلها المستشفى وهي لم تبلغ ١٦ سنة بعد، وعندما سألها بعد ذلك عن السبب الذي جعلها تقيم هذه العلاقة؛ أجابته قائلة فقداني لك في حياتي هو الذي جعلني أبحث عن البديل". ومن خلال هذا التصريح نلاحظ ردة فعل الأب كانت عنيفة ضد ابنته وبعد ذلك سألها عن السبب الذي كان هو أساسه نتيجة الفراغ العاطفي الذي تعيشه جراء الطلاق. وهذا ما أطلق عليه بورديو إعادة إنتاج الثقافة التعسفية، النمط السائد داخل المجتمع. كما وجدنا أن بعض الآباء يلقون عبء التربية الجنسية على عاتق الأم باعتباره موضوعاً حساساً لا يمكن للأب أن يلقنه لأبنائه وذلك راجع إلى مكانة الأب والاحترام الموجود بينه وبين أبنائه حسب اعتقادهم.

---

٢٦. الحسيني معدي، التربية الجنسية من المنظور الاسلامي، المرجع سبق ذكره، ص٢١٣.

الطفل والمعرفة الجنسية

من خلال هذا العنصر نحاول التركيز على الحوار القائم بين الآباء والأبناء حول الأمور الجنسية. صرحت لنا إحداهن (٤٠ سنة. رابعة متوسط) "**هناك حوار بيني وبين أبنائي من كلا الجنسين منذ الصغر، ويكون حول أي موضوع يبدو غامضاً لهم بشكل واضح صريح. وفي رأيي أن الحوار الذي أجريه مع أبنائي هو الذي يحميهم مستقبلاً من أي انحراف أو كبت أو عقد في مجال الجنس**". وأكد الباحثون والتربويون أن الوضوح والصدق والمصارحة حول إجاباتهم على أسئلة أطفالهم المتعلقة بالأمور الجنسية أمر مهم في تشكيل شخصيته.

كما صرح لنا أحدهم قائلاً بكل إصرار (٤٩ سنة. ابتدائي) "مكاش حوار في هذا الموضوع، مرات الطفل يسأل وعلاش الأب ينام مع الأم، وعلاش أنا منيش كما أختي". كما صرح لنا عن كيفية إجابته عن هذه الأسئلة وردة فعله فقال "الكذب والتهرب في أغلب الأحيان، ومحاولة إقناعه بأي إجابة أخرى كيلا يعود للسؤال عنه مرة أخرى، وإذا تكرر الأمر يكون نوعاً من العقاب كالضرب". أما في تصريح امرأة أخرى (٤٨ سنة. ممرضة) "لم تكن أي أسئلة من طرف أولادي إلا عند البنت الكبرى في مرحلة بلوغها وبعدها اتبعتها أخواتها، فأولادي لا يشتمون أمامي أبداً، فكيف لهم أن يسألوني عن الجنس".

كما ذكرنا سابقاً إن هذا السلوك قد يقود الطفل إلى البحث عن إجابات لأسئلته من مصادر أخرى غير الأسرة وقد تكون مصادر خاطئة. كالأفلام الإباحية أو أصدقاء السوء أو الشواذ.. هذا ما أكده الحسيني معدي "**يجب أن يصارح الآباء أطفالهم بكل ما يتعلق بالجنس والحياة الجنسية مع الحرص على الصدق في الإجابة دون تلعثم أو لهجة أو نبرة خاصة. لكيلا يتخذ الطفل موقفاً خاصاً كما يجب عدم المبالغة في الأمر والنهي بل العمد إلى الشرح والإيضاح والإقناع، لأن الترهيب وإصدار الأوامر والنواهي الشديدة قد تسبب للطفل عقداً نفسية ومخاوف مرضية لا لزوم لها**"(٢٧).

٢٧.الحسيني معدي، التربية الجنسية من المنظور الاسلامي، المرجع سبق ذكره، ص ١٨٠.

نمط التربية الجنسية

إن طريقة تقديم التربية الجنسية للأولاد تقوم على أساس مجموعة معلومات ومعارف يملكها المربون ذات مرجعية أو خلفية معينة تختلف من جماعة أسرية إلى أخرى وتكون إما دينية أو آتية من عادات وتقاليد الأجيال السابقة، أو مرجعية التحرر تتميز بالحرية في التعامل مع الأبناء في توجيه سلوكهم الجنسي.

وفي هذا العنصر صرح لنا أحدهم (٣٥ سنة. جامعي) "**مرجعيتي دينية قائمة على احترام النصوص القرآنية والأحاديث**". أما امرأة أخرى (٤٧ سنة. تقنية سامية في مؤسسة) "**طبعاً مرجعيتي الدين والعادات والتقاليد، أما التحرر فله أهله**" فتربيتي لأولادي هي نفسها تربية والديَّ اللذين علماني على أسس الدين والعادات والتقاليد مع شيء من الشدة؛ أما أنا فأحاول دائماً أن أكون صديقة أولادي مع الاستفادة من بعض ما جنيته من أهلي وأساتذتي". ومن خلال هذين التصريحين نلاحظ تأكيدهما المرجعية الدينية، لكن لا يوجد أيّ نصوص شرعية يستندون إليها في تصريحاتهم. ويرى محمد بيومي أن: "**الدين لدى بعضهم هو السياق الذي يتحد فيه الإنسان مع ما هو فوق إنساني أو أنه مظهر من مظاهر رد الفعل الغريزي للقوى المكونة أو أن الدين هو مجموعة من الرسالات الظاهرة من الإله، لكن سوسيولوجيا الدين تكمن في العلاقة التفاعلية مع الوحدات الاجتماعية المكونة للمجتمع**".(٢٨)

أما مرجعية العادات والتقاليد فقد صرح أحدهم (٥٦ سنة. متوسط) "مرجعيتي العادات والتقاليد، وما أخذته من أبي أنقله لأولادي". والمرجعية التحررية صرحت بها سيدة واحدة (٥٠ سنة. مستوى جامعي) "حسب رأيي المرجعية التحررية هي الأنسب للتربية الجنسية، لكيلا يقع الطفل في أي خطأ وذلك تحت متابعتي" وحسب تصريحها التحرر يسمح للطفل بالتعرف على جميع الجوانب المتعلقة بالسلوك الجنسي مع الأخذ بعين الاعتبار التوجيه والمتابعة.

---

٢٨. محمد احمد بيومي، علم الاجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١، ٢٠٠٣. ص٤٧.

الانحراف الجنسي

الانحراف هو عموماً الخروج عن المعيار الاجتماعي واتباع سلوك ينافي قواعد الجماعة. أما الانحراف الجنسي فهو تلك السلوكيات والممارسات الخارجة عن الإطار الشرعي لها. وصرحت لنا إحداهن (٢٥ سنة. جامعي) "**الانحراف الجنسي في المجتمع أصبح واضحاً لا يوجد فيه أي جانب من العقل، ومظاهره عديدة كالعلاقات العاطفية بين الجنسين والاعتداءات الجنسية والشذوذ**.." وهذا ما أكده جميع الذين أجري عليهم البحث؛ وأعادوا أسباب انتشار هذا الانحراف إلى عدم المراقبة الأسرية والاستخدام السهل لوسائل التكنولوجيا والإنترنيت. صرح أحدهم (٥٠ سنة. متقاعد) "**الانحراف هو نتيجة الإعلام الفاسد الذي أصبح يقدم صوراً واضحة لمظاهر الإغراء والممارسات الجنسية**". أما إحدى النساء فقد صرحت (٣٩ سنة. متوسط)" غياب دور الوالدين في تربية الأبناء، وهذا ناتج عن جهلهم بالتربية الجنسية أو نسيان دورهما ومسؤوليتهما تجاه أولادهما". كما لاحظنا بعض التناقضات في تصريحات بعضهم ومن بينهم امرأة (٣٠ سنة. معلمة) "عدم مراقبة الأولاد والحرية الزائدة ونقص الحنان للأولاد، وكذا التطورات التكنولوجية ووسائل الإعلام هي السبب الرئيس للانحراف الجنسي" وهذا التصريح مقارنة بتصريحها حول المرجعية المعتمدة في تربية أبنائها "العادات والتقاليد هي الطاغية وتليها المرجعية الدينية". فكيف يمكن أن تتوافق وتواكب العادات والتقاليد هذه التطورات التكنولوجية.

وفي الأخير نستخلص أن نوع التربية الجنسية لها دور كبير في تربية الأبناء ومعرفتهم بالهوية الجنسية والأدوار المسندة إليه بحسب جنسهم. فالجنس بوصفه وظيفة تعدُّ من أسس الوظائف الإنسانية وبقائها من خلال التكاثر؛ ويجب التعامل معه عقلاً وروحاً ووجداناً وعملاً وفق المبادئ والأسس الصحيحة.

الاستنتاج العام:

من خلال الدراسة التي قمنا بها توصلنا إلى النتائج التالية:

ـ هناك اختلاف بين تربية الذكر وتربية الأنثى وهذا راجع إلى الطبيعة المتأصلة في المجتمع الجزائري، والمتمثلة في أن المرأة هي حرمة البيت، وشرفه، وعرضه، وبالتالي الكيفية المثلى للحفاظ على هذا الشرف هو الضغط والتشديد والحد من حريتها. كما تشمل تربيتها تعريفها على أعراض البلوغ وأحكامه، وتهيئتها لدورها في المجتمع وهو الزواج. أما بالنسبة للذكر فيتربى على الحرية وكيفية الحفاظ على شرف العائلة من خلال السيطرة على الأنثى داخل أسرته. ومن خلال هذه التربية الجنسية نرى إعادة إنتاج النمط الموجود داخل المجتمع الجزائري بالاستناد إلى المرجعية ذات الطابع التقليدي تحت رداء الدين حسب اعتقادهم وفهمهم له.

– وجدنا أن الجانب الأكبر من التربية يقع على عاتق الأم.

– عدم وجود حوار بين الزوجين حول موضوع التربية الجنسية، أما بالنسبة للحوار بين الآباء والأبناء فهو شبه منعدم لاعتباره قلة احترام، ولا يحق التعرف على هذا الجانب إلا عند فترة الرشد والتهيؤ للزواج.

– وبهذا قد تحققت الفرضية المطروحة، فالمرجعية المعتمدة في تربية الأبناء هي تربية جنسية قائمة على العادات والتقاليد والمعتقدات وربطها بالدين. وهذا ما أشار إليه ماكس فيبر" إن هناك علاقة تبادلية بين المحدد الاجتماعي للممارسات الدينية وبين المحدد الديني للممارسات الاجتماعية، وكذلك ميز بين الدين الشرعي والدين الشعبي، فالجماعات والأفراد تعيد حقن أي دين بمعتقدات وممارسات بمقدار ما ترى نفسها محتاجة إليه"(٢٩). أي استعمال الدين كمبرر لأي فعل.

الخاتمة

التربية الجنسية هي تقديم توعية جنسية للفرد تهدف إلى تصحيح مفاهيمه عن الرجولة والأنوثة وأساليب التعامل الراقي بين الجنسين والرؤية للجنس والزواج، بالإضافة إلى معلومات عن وظائف الأعضاء التناسلية؛ وتعنى أيضا برعاية الأطفال في مراحل نموهم المختلفة من أجل تنمية اتجاهات سليمة لديه نحو معرفة أعضاء الجسد ووظائفها، ونحو الجنس الذي ينتمي إليه، والجنس الآخر. وإدماج كل ذلك في شخصية إنسانية متكاملة من خلال تقديم المعلومات الجنسية السليمة بطريقة بسيطة تتناسب مع المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل في إطار قيم المجتمع وعاداته وتقاليده. ويتم هذا كله خلال المعايشة اليومية الأسرية. فالحياة الجنسية ليست مقتصرة على العلاقة الفيزيولوجية بين المرأة والرجل بل هي نمط المعرفة الجنسية بما هو متوقع من كل جنس وما يقدمه للمجتمع، وفق ما يتناسب ونوعه وقدراته الشخصية.

MENA RESEARCH CENTER

مركز أبحاث ودراسات مينا

٢٩.لوران فلوري، ترجمة: محمد علي ملقد، ماكس فيبر، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، ليبيا، ط١، ٢٠٠٨. ص ٧٦.